

اشكالية تحديد مفهوم الوعي الاجتماعي

د. عبد الله بوجلال

أستاذ مكلف بالدروس بمعهد علوم

الاعلام والاتصال

يرجع أصل كلمة الوعي الى كلمة (Conscientia) اللاتينية، وهي كلمة مركبة من (Cum) و (Scientia)، وهذا المصطلح لا يعني معرفة الموضوع من طرف الفاعل فقط، بل أن هذا الموضوع يعد مرجعا للفاعل نفسه⁽¹⁾ ويقابل نفس الكلمة، أي الوعي، بالفرنسية كلمة (Conscientia)⁽²⁾.

ولم تبرز كلمة الوعي وتسيطر على الفكر السياسي والاجتماعي، كإصطلاح، إلا خلال منتصف القرن التاسع عشر، وعلى وجه الخصوص في الفكر الماركسي. فقبل ظهور المجتمعات الجماهيرية لم يكن هناك موضوع لاستخدام هذه الكلمة، فقد كانت الادارة السياسية هي أساسا صياغة قانونية للطبقة المختارة، «حيث العلم يتفاعل مع الادراك في اطار يكاد يكون متطابقا»⁽³⁾، ولكن عقب نزول الجماهير المتعطشة للحرية الى ساحة العمل السياسي، كان من الطبيعة أن يطرح موضوع الوعي بالذات، وهكذا تحدث كارل ماركس في البيان الشيوعي عما أسماه الوعي بالانتماء الطبقي⁽⁴⁾.

ولذلك فإن أول استخدام لاصطلاح الوعي مرتبطا بالمجموعات البشرية الكبيرة ظهر لدى (ماركس) الذي صاغه مترادفا مع الطبقات، مقدما اصطلاح الوعي الطبقي، والذي عني به «الشعور المتزايد الذي ينتاب أعضاء الطبقة البروليتاريا ويجعلها تحس بمركزها الاجتماعي المناقض للمركز الاجتماعي الذي تحتله الطبقة البرجوازية»⁽⁵⁾ أنه شعور مجموعات بشرية (الطبقة) بموقعها الممتاز عن مجموعات بشرية أخرى (الطبقات) والمعادية لها والمتحالفة معها، تبعا لطبيعتها، بما يدفع كلا منها إلى الوحدة والتماسك ككتلة موحدة المصالح والاهداف، بفعل وعيها لموقعها وطبيعتها⁽⁶⁾.

ويقصد بالوعي الادراك والاحاطة، ووعاه توعية معناه أكسبه القدرة على الوعي وقد يعبر بالوعي عن الفطنة والذكاء فيقال رجل واع وامرأة واعية، وقد يعبر بالوعي عن العقل، واللاوعي عن اللاعقل أو ما وراء الحواس. وإذا كان مصطلح الوعي يعبر عن الاحاطة بحقائق الحاضر فإنه يعني كذلك الاحاطة بحقائق الماضي وادراكها واستخلاص العبرة منها، ثم هو يعني أيضا الرؤية الواضحة لاحتمالات المستقبل بالتقدير السليم لحقائق الحاضر مع الاستفادة الكاملة من تجربة الماضي، وهنا نميز بين الوعي والتوعية التي يقصد بها «ايجاد الوعي وإكسابه للأفراد والجماعات لمخلفهم على الاقتناع بفكرة معينة أو رأي معين، واتخاذ منهج سلوكي معين بقصد تحقيق نتائج يهدف إليها القائم بالتوعية»⁽⁷⁾.

وليس الوعي سوى ظاهرة معقدة تفرزها جملة تفاعلات الظواهر الاجتماعية في شكل آراء وتصورات وأفكار ونظريات حول البيئة الاجتماعية الجزئية والكلية، وقواها وعلاقتها وأنشطتها، يحوزها فرد أو مجموعة أفراد، ويكون الوعي على نوعين، فردي وجماعي⁽⁸⁾.

ويوجد اختلاف في تحديد مفهوم الوعي بين أصحاب المدرسة الماركسية وأصحاب المدرسة المثالية، فالماركسيون (خاصة الكلاسيكيون منهم) يرون أن المبدأ الرئيسي في دراسة الوعي الاجتماعي يرتبط بالاجابة على سؤال عن العلاقة بين الوعي والوجود وبين الفكر والطبيعة، أما المثاليون فيرون أن وعي البشر هو أساس سائر الاحداث الاجتماعية، ويقصدون بكلمة «وعي» الروح مرة والعقل مرة أخرى، ووعي الانسان الفرد مرة والوعي الاجتماعي مرة أخرى. أما مقولة «الوعي الاجتماعي» فقد استخدمت للمرة الاولى من قبل كلاسيكي المدرسة الماركسية، حين كان علم الاجتماع البورجوازي يستخدم للتعبير عن «الوعي الاجتماعي»، مقولات مثل الرأي العام أو الروح القومية أو الروح الشعبية. ولم يقدم علم الاجتماع البورجوازي حلا صحيحا للعلاقة بين الوعي الاجتماعي والوجود الاجتماعي «فانطلق من الافتراض الخاطئ بأن سائر العلاقات بين البشر ليست سوى ظواهر ذات طبيعة فكرية، وزعم بالتالي، أن الوعي الاجتماعي يقوم على مثل هذه الروابط والعلاقات بين أعضاء المجتمع فقط»⁽⁹⁾.

وهذا التناقض الحاصل بين أصحاب المدرستين قد جعل من الصعب صياغة «الوعي» في السابق وفي الحاضر، حيث لازال هناك تناقض كبير بين الماركسيين

وأصحاب النظريات غير الماركسية، وبالذات أصحاب النظرية البنائية الوظيفية التي كان ولا يزال لها غلبة الانتشار والاستمرار في الفكر السوسيولوجي الانجلوسكسوني عموما، فهذه النظرية، تغافلت عن عمد موضوع الوعي الاجتماعي لأسباب كثيرة، منها أن «الوعي» مقولة ماركسية، وبالتالي يعني العمل بها، حتى ولم تم تغيير مضمونها، ووظائفها نقطة تحسب للماركسة⁽¹⁰⁾.

وهناك سؤال أساسي لم تزال الاجابة عليه غير نهائية، حتى بين أنصار المادية التاريخية أكثر النظريات اهتماما بمقولة الوعي، وهو ماهية الوعي الاجتماعي، والذي يرى البعض، من أمثال (ل. اكسلرود) و(توجارينوف) مثلا، أن الاجابة عليه تتمثل في أن الوعي الاجتماعي يعني فقط انعكاس الوجود الاجتماعي بواسطة الوعي⁽¹¹⁾. وبالتالي يخرج من محتوى الوعي الاجتماعي، الوعي بالطبيعة ويصبح فقط وعيا بالمجتمع، ثم يأتي البعض ليحصر الوعي بالمجتمع في العلاقات الانتاجية فقط بوصفها جوهر الوجود الاجتماعي⁽¹²⁾.

ونجد كارل ماركس يبرز هذه النقطة أكثر، اذ يقول «في انتاج الناس الاجتماعي لحياتهم يدخلون في علاقات محددة، ضرورية ومستقلة عن ارادتهم وهي علاقات انتاج تطابقه درجة معينة من تطور قواهم الانتاجية المادية، ويشكل مجموع علاقات الانتاج هذه البنيان الاقتصادي للمجتمع، أي يشكل الأساس الحقيقي الذي يقوم فوقه صرح علوى قانوني وسياسي وتتشى معه أشكال اجتماعية»⁽¹³⁾.

ويظهر من هذا التناقض الموجود بين أصحاب المدرستين المثالية والمادية، أن كليهما يفهم الوعي الاجتماعي فهما جزئيا متطرفا، فأنصار المدرسة المثالية يرون أن الأفكار والآراء والقيم هي التي تحدد الوجود الاجتماعي ونمط العلاقات الاجتماعية وهي التي تقود الى التغيير الاجتماعي، بينما يرى أنصار المدرسة المادية أن الواقع المادي للمجتمع هو الذي يحدد نمط العلاقات الاجتماعية والسياسية ونوع الثقافة والفكر والقيم، وأن فهم هذا الواقع المادي الاجتماعي ووعيه هو الذي يؤدي الى تغيير الأوضاع المادية وبالتالي تغيير النظم السياسية والعلاقات الاجتماعية.

وهكذا يتضح أن أنصار المدرسة المثالية يرون أن أولوية التغيير تكون في الأفكار والقيم، بينما يرى أنصار المدرسة المادية أن تلك الأولوية تكون في الوجود المادي للمجتمع وفي أسلوب انتاج الحياة المادية، ثم يأتي الوعي الاجتماعي انعكاسا لهذا التغيير

ان أهداف أنصار المدرسة المثالية من التركيز على الأفكار والقيم هو اخفاء الواقع الاجتماعي المحف، الذي تسيطر فيه طبقة اجتماعية، تملك الثروة والسلطة، على بقية الطبقات الاجتماعية، التي يشكل أفرادها القوى البشرية المنتجة في المجتمع، وذلك لكل لا يعي أفراد هذه الطبقات العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية المختلة في المجتمع، ولا يعملون على تغييرها واحداث تغيير اجتماعي يؤدي الى تصحيح ذلك الإختلال الموجود في تلك العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية، وتحقيق العدل الاجتماعي، والحد من التفاوت الطبقي، واحتكار الثروة والسلطة في ايدي قلة من الأفراد⁽¹⁴⁾.

واذا كانت هذه هي أهداف أنصار المدرسة المثالية فإن أهداف أصحاب المدرسة المادية هي ابراز الاختلال الموجود في المجتمع وفي علاقات أفراد الاجتماع، وإظهار التناقض الموجود بين مصالح مختلف الطبقات الاجتماعية، وتبيان مصادر قوة وضعف كل طبقة اجتماعية، وكشف القوانين الاجتماعية التي تحدد مسار حركة المجتمع الانساني، واحداث وعي اجتماعي جماهيري بالواقع الاجتماعي غير العادل، تمهيدا لتغييره الى واقع اجتماعي أكثر عدلا.

ومهما تكن أهداف أصحاب المدرستين المثالية والمادية، الا أن كليهما يفهم الوعي الاجتماعي على أنه يشمل جانبا واحدا فقط دون الجانب الآخر الذي يكمله، وهذا ما يجعل فهمهما قاصرا على أن يحيط بكل جوانب الوعي الاجتماعي التي تتضمن الواقع الاجتماعي المادي وأسلوب انتاج الحياة المادية، والأفكار والآراء والمعتقدات والقيم وأنماط السلوك والعلاقات الاجتماعية. ان الوعي بالمجتمع قد يرجع الى التعليم والتثقيف والاعلام والأفكار السياسية والاجتماعية، كما قد يرجع الى الواقع الاجتماعي المادي المعيش، الذي يرجع اليه الناس للاطلاع على أحوال مجتمعاتهم وفهم ظروفها ومشاكلها وقضاياها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية. الا أن فهم الواقع الاجتماعي المعيش لا يتم مباشرة بدون مشاركة ومساهمة الأفكار والآراء في ذلك. ويعني هذا أن هناك تكاملا وتأثيرا وتأثرا متبادلين، بين الجانبين الفكري والمادي لتشكيل عملية الوعي لدى الناس في أي مجتمع انساني.

ماهية الوعي الاجتماعي

توجد تعاريف كثيرة لمصطلح الوعي الاجتماعي، نشير الى بعضها فقط كالتالي:

1 - يقصد بالوعي الاجتماعي «مجموعة المفاهيم والتصورات» والآراء والمعتقدات الشائعة لدى الأفراد في بيئة اجتماعية معينة، والتي تظهر في البداية بصورة واضحة لدى مجموعة منهم ثم يتبناها الآخرون لاقناعهم بأنها تعبر عن موقفهم⁽¹⁵⁾.

2 - ويقصد به بأنه «محصلة معرفة وإلمام كل جماعة بالقضايا الاجتماعية - الاقتصادية والسياسية والثقافية على المستويين المحلي والوطني⁽¹⁶⁾.

3 - ويمكن تحديده بصورة أدق بأنه «حصار ادراك الناس وتصوراتهم للعالم المحيط بهم، بما يشمل عليه من علاقات بالطبيعة وبالانسان وبالأفكار، وهو ادراك تصور يتحدد مجاله بينائية تاريخية لمجتمع معين، بمعنى أن للوعي طابعه التاريخي البنائي⁽¹⁷⁾.

والعلاقة بين البناء الاجتماعي في مرحلة تاريخية محددة، خاصة في أساسه الاقتصادي، علاقة جدلية، مع ملاحظة أنه برغم وجود هذه العلاقة فإنه ثمة استقلال نسبي للوعي عن مجمل ظروف البناء الاجتماعي، بمعنى أن الوعي قد يكون متقدما أو متأخرا عن هذه الظروف نتيجة لظروف نوعية تتعلق بهذا البناء أو ذلك، يأتي في مقدمتها تعمد تشويه هذا الوعي وتعطيل ارتباطه بالوجود الاجتماعي، وهذا التشويه يأخذ صورا ومسالك عدة، بعضها مترسب من تكوينات اجتماعية - اقتصادية سابقة وبعضها موجه من الداخل أو من الخارج من خلال بعض مواقف الصراع الاجتماعي بين الأطراف المتعارضة سواء كانت طبقات، أو حتى دول أخرى⁽¹⁸⁾.

وتشويه الوعي هو الذي يعرف بالوعي الزائف، والوعي الزائف، كما يعرفه «بطلر»، هو «شكل من أشكال المصلحة الذاتية لفئة معينة وهو رفض أو تجاهل عن وعي أولا وعي لمطالب فئة أخرى في المساواة في السلطة مثلا⁽¹⁹⁾.

ويكون الوعي الزائف تصورا جزئيا، ومشوها ومغلوطا، للواقع المحيط سواء كان هذا الواقع طبيعيا أو انسانيا، وسواء كان يتعلق بعلاقة أو شخص أو وضع بنائي محدد. وغالبا ما يرسم لهذا التصور حتى لا ينفذ الى الحقائق بوضع أساليب كثيرة ومتنوعة، تستخدم فيها أحيانا تكنولوجيا التزييف، وأحيانا تكنولوجيا الارهاب⁽²⁰⁾.

توجد تقطعتان في حاجة الى توضيح، لابرار العلاقة الجدلية بين الوجود الاجتماعي والوعي الاجتماعي، تركز الأولى على الطرح النظري الذي يذهب الى أن الوجود الاجتماعي يحدد الوعي الاجتماعي، وتعني الثانية أن يكون الوعي الاجتماعي انعكاسا للوجود الاجتماعي.

وتعني كلمة «يحدد» بأولوية صيغ العلاقة بين الوجود والوعي والتي تعود الى وجود بوصفه السبب الذي ترتب عليه نتيجة. أما عبارة انعكاس الوعي للوجود، فتدفع الباحث الى أن يهتم بظروف هذا الانعكاس، ونسبتها بين تكوين اجتماعي وآخر، وبين وجود طبقي وآخر. كما أنها تتضمن الاهتمام بالذات العاكسة أي كامل الوعي المشخص فرد أو جماعة أو طبقة، الأمر الذي يوضح لماذا يوجد في الوعي بعد ذاتي، أو جماعي هام. فكل فرد في جماعة، وكل طبقة في نمط انتاجي تعي الواقع وتدركه وتقيمه بطريقتها، في ضوء ظروفها النوعية⁽²¹⁾.

وتلفت كلمة الانعكاس هذه النظر أيضا، في ضوء الظروف الموجودة وأوضاع الذات العاكسة والقوى الاجتماعية والسياسية التي تتدخل في عملية الانعكاس كالتأثير في التنظيمات والممارسة ووسائل الاعلام مثلا، الى امكانية تزييف الوعي وفك الارتباط الجدلي بين تعيين الوجود للوعي، وبين أن يعكس الوعي الوجود⁽²²⁾.

ولقد حلل لينين مقولة «الانعكاس» و«الواقع المادي» بقوله بأن الانعكاس يبدو مضمونه للوهلة الأولى فقيرا جدا، مجرد علاقة أسبقية علاقة تبعية غير متساوية، الفكر انعكاس للواقع المادي، المادة موجودة باستقلال عن الفكر لا العكس، الفكر انعكاس يمكنه أن يشوه أو يعكس (الا أنه يعكس باستمرار شيئا شيئا ما) أو يكون صحيحا بشكل تقريبي، غير أن هذه المقولة الفقيرة في الظاهر تلخص كل نتائج التطور العلمي المعاصر... وبهذا المعنى تكون المقولة تجميع وتفسير لمضمون المحاولة العلمية، غير أنها في الوقت نفسه دليل على البحث، وهي لا تقدم لنا وحدها أية معرفة الا أنها تشير الى مجال تشكيلها... أن ما يحدد المقولة الفلسفية للمادة هو وجودها باستقلال عنا هو أن تكون الشيء الذي تضعنا حواسنا في علاقة معه، مما يسمح في النهاية بالتحقق المادي من المعرفة، وبامتحانها الفزيائي بواسطة ديالكتيك التحولات المادية التي تجري في المختبرات والمصانع⁽²³⁾.

وفي معالجة كارل ماركس لقضية الوعي في مشروعه النظري نجده يؤكد على تحديد الوعي أساسا بالنظر الى أسلوب الانتاج الاقتصادي والظروف البنائية الأشمل، وأن نضج الوعي يعني مروره بمرحلة سابقة هي مرحلة اللاوعي، فإذا تحقق الوعي أو العقلانية فلا عودة للوعي الزائف، وان تحقق الوعي الموضوعي يعني بداية التاريخ الحقيقي للانسان⁽²⁴⁾.

ويرى كارل ماركس بأن أسلوب انتاج الحياة المادية هو شرط العملية الاجتماعية والسياسية والعقلية للحياة بوجه عام، «وليس بالذي يحدد وجودهم ولكن وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم»⁽²⁵⁾.

ويؤكد من جهة أخرى كل من كارل ماركس وفريديك انجلز في كتابها الايديولوجية الألمانية على أن «الوعي لا يحدد الحياة بل الحياة هي التي تحدد الوعي»⁽²⁶⁾.

ويرى كل من كونستانتينوف، وكيل أنه من المستحيل صياغة نظرية علمية للتطور التاريخي، جديرة بالتسمية، دون أن تحسم على أساس مادي مسألة الرابطة بين الوجود الاجتماعي والوعي الاجتماعي. وانطلاقا من أن التاريخ يصنعه الناس، أي تصنعه المخلوقات البشرية ذات الوعي والارادة فلا بد لكي نشكل مفهومها علميا عن الحياة الاجتماعية وتطورها، أن نبدأ في الحل الأول بتفسير نشأة وعي الناس وارادتهم استنادا الى وجودهم المادي لكي نكتشف القوانين الموضوعية للتطور التاريخي⁽²⁷⁾.

الوعي الاجتماعي والايديولوجية

والوعي الاجتماعي الذي يعكس الوجود الاجتماعي داخل رابطة ما له أشكال مختلفة للتعبير عن وجهة نظر مستويات تمييزية وموضوعية للطبقات والجماعات الاجتماعية، ولقد درج على التمييز بين وعي يومي وآخر بناء على الآراء، والمعايير، والمعتقدات، والأفكار المسبقة، الأكثر أو الأقل وعيا، والايديولوجية، التي تشكل نظاما متجانسا من الأفكار والمشاعر والمفاهيم⁽²⁸⁾.

ومن خصائص الوعي الاجتماعي المهمة أحاطته بكل الواقع المحيط بالانسان والجمتمع والطبيعة، ولهذا فهو أكثر شمولاً وتنوعاً وتعقيداً وأكثر ارتباطاً بالوجود الاجتماعي ككل في لحظة تاريخية محددة. أما الايديولوجية، فهي احاطة بالواقع لا من منظور

الوجود ككل ولكن من منظور وجود طبقة محددة خاصة، مصالح هذه الطبقة والتعبير والدفاع عنها⁽²⁹⁾.

ويستخدم أغلب علماء الاجتماع المعاصر مصطلح الايديولوجية للإشارة الى نسق الافكار والاحكام الواضحة والمنظمة بوجه عام، الذي يقوم بوصف وتفسير وتأويل وتبرير وضع الجماعة أو التجمع، والذي يحدد « - استنادا الى قيم معينة - اتجاهها محمدا للعمل التاريخي للجماعة أو التجمع »⁽³⁰⁾.

وتعتبر الايديولوجية وسيلة جبارة لتكوين السيكولوجية الاجتماعية والفردية، فالتأثير الايديولوجي يقدم للجماهير فهما محددا للحياة ويساعدها على استيعاب أوضاعها ودورها في التطور الاجتماعي. كما تؤثر الايديولوجيا على الناس وتحدد اتجاه الآراء وطابع القناعات، على شعور وإرادة الجماهير والأفراد. ولا يتكون كمال الوعي ووحدته مع السلوك الا عندما تعكس الايديولوجيا حياة المجتمع بصورة صحيحة وأن لا تتناقض معها⁽³¹⁾. ويؤدي التناقض بين الدعاية والايديولوجيا والحياة الى تأخير تطور الوعي واضطراب سلوك الناس⁽³²⁾.

وتستخدم الأداة الايديولوجية الضخمة، في المجتمعات الطبقيّة، من أجل غاية واحدة هي بث نظرة في الشعب مقتصرة على الأفكار والاحكام المبسّرة التي تخدم الرأسماليين⁽³³⁾. وفي التحليل النهائي، يتوقف كل شيء على من يشد خيوط الانتاج الروحي وتشكيل الرأي العام. فن الناحية الرسمية نجد أن حرية الخطابة وحرية الصحافة تكفلان حرية التحدث للأفراد عما يدور في أذهانهم وتوصيل آرائهم الى الجميع قاطبة، أما الحقائق فتنتطق بغير ذلك: إذ أن عشرات الصحف وشركات الاذاعة والتلفزيون تسيطر على اختيار وتفسير المعلومات. وبإيجاز فإن أي شخص حر في أن يقول ما يعتقد ولكنه لا يستطيع أن يفكر بحرية، مادامت المادة قد اختيرت له على نحو متحيز. «ان عملية تفكيره نفسها تعبأ بالحاح بخرافة وتحيز وتعصب ايديولوجي»⁽³⁴⁾.

ولقد لجأت الدعاية الامبريالية الى الاهتمام بالحرية والديمقراطية والقيم الانسانية وحقوق الفرد وكرامته وغيرها من المبادئ السامية، التي سرقتها من خصومها، الطبقيين وذلك بهدف «تشكيل ايديولوجية التصدير» التي توجهها نحو الجماهير العريضة ونحو الشعب، وخلقت بذلك فجوة بين الايديولوجية الفعلية للطبقة

الحاكمة، رمز ايمانها الحقيقي، وبين الايديولوجية الزائفة التي تقدم «لرجل الشارع» على أنها المذهب الرسمي للدولة⁽³⁵⁾.

ولقد حدث تغيير في ايديولوجية الطبقة البورجوازية في المدة الأخيرة نتيجة للتطورات العلمية والتكنولوجية ولتنامي وعي الطبقات المنافسة لها. وتذهب هذه الايديولوجية البورجوازية الجديدة (التي تخلق الوعي الزائف في المجتمع) الى اعتبار أن التكنولوجيا تمكن النظام الاجتماعي، الموجود، تدريجيا استبعاد كل ضروب الأزمات، وإيجاد حلول «تكنيكية» للمتناقضات، بما في ذلك قدرته على احتواء الطبقات الاجتماعية المتمرّدة على تحاشي الانفجارات السياسية⁽³⁶⁾.

وفي الوقت الذي تعمل فيه الطبقة البرجوازية جاهدة في حملتها الشهيرة عن نهاية «عصر الايديولوجية» وبداية عصر «التكنولوجيا» تروج بشكل بالغ الخفاء لايديولوجيتها الخاصة التي تهدف من خلال - خلق الوعي الزائف - الى الاستعمار العقلي لأعضاء المجتمع، من خلال تصنيع المنتجات الثقافية المحملة بهذه الايديولوجية كشرائط وأفلام التلفزيون⁽³⁷⁾.

وهكذا فالفرد السجين في هذا المجتمع الرأسمالي والذي تخضع حياته كلها لقوانين السوق - ليس فقط كما كان الحال في القرن التاسع عشر في مجال الانتاج - بل الآن أيضا في مجال الاستهلاك والترويج والثقافة والفن والتعليم والعلاقات الشخصية، ولا تستطيع الفكك من هذا السجن الاجتماعي، وكل ما بقي له هو الحلم بالهروب من خلال الجنس والمخدرات، والتي هي أيضا صناعة منظمة في هذا المجتمع، وهكذا «فصير الانسان يبدو أنه محدد سلفا»⁽³⁸⁾.

ويرى «هربرت ماركوز» بأن الثقافة الصناعية المتقدمة أكثر ايديولوجية من الثقافة التي سبقتها لأن الايديولوجية تحتل مكانها اليوم في صيرورة الانتاج بالذات. وهذا ما يكشف عن المظاهر السياسية للعقلانية التكنولوجية الراهنة، فالجهاز الانتاجي والسلع والخدمات التي ينتجها تفرض النظام الاجتماعي⁽³⁹⁾.

ويترتب على وسائل النقل والاتصال الجماهيري وتسهيلات السكن والطعام والملبس والانتاج المتعاطم لصناعة أوقات الفراغ والاعلام مواقف وعادات مفروضة وردود فعل فكرية وانفعالية معينة تربط المستهلكين بالمنتجين ربطا مستحبا بهذا القدر أو ذاك، ومن ثم تربطهم بالمجموع. أن المنتجات تكيف الناس مذهبيا، وتصنع

وعيا زائفا عديم الاحساس بما فيه من زيف وعندما تصبح هذه المنتجات في متناول عدد أكبر من الأفراد المنتئين الى طبقات اجتماعية أكثر تعدادا تخلق قيم الاعلان والدعاية طرز للحياة. وهي بلا أدنى شك طرز للحياة أفضل من الطرز السابقة ولكنه من هنا بالذات يكتسب مناعة ضد كل تغير نوعي، وهكذا يتكون الفكر والسلوك الأحادي البعد. ويقصد بذلك أن الأفكار والتطلعات التي تتجاوز من حيث مضمونها، عالم الكلام والعمل القائم تنبذ أو يقضى عليها بأن تكون جزءا من هذا العالم ومصطلحا له. اذن فعقلانية النظام واتساع نطاقها كليا يضيفان جديدا على تلك الأفكار والتطلعات⁽⁴⁰⁾.

أن دور الايديولوجيا السائدة في المجتمعات الطبقيّة في تزييف الوعي، لدى الجماهيري ليس مقصورا على البلدان الرأسمالية المصنعة، بل يشمل أيضا البلدان التابعة لها سياسيا واقتصاديا وايديولوجيا في العالم الثالث، اذ نجد المحاولات التنوية التي أعقبت تحرر العديد من تلك البلدان من الاستعمار القديم (في شكله الاداري والعسكري المباشر) والتي اتبعت أسلوبا تنويا غير رأسمالي، قد اعترض سبيلها العديد من المشكلات الادارية والمادية والتكنولوجية والسياسية والفكرية، الا أن بعض تلك البلدان التي أخذت بها استطاعت أن تضع الأسس الاقتصادية لتطورها الصناعي والزراعي بعيدا عن التدخلات الأجنبية وبعيدا عن التبعية للاحتكارات الرأسمالية العربية، ومع ذلك فإن القوى الاجتماعية التي ضربت مصالحها الطبقيّة أثناء تلك التحولات، والقوى الأخرى التي استفادت من الثغرات القانونية والادارية والتي استفادت ماديا واجتماعيا بحكم مناصبها الادارية والسياسية ورتبها العسكرية قد تحينت الفرص المناسبة للوصول الى مراتب السلطة والمسؤولية، ولما تحقق لها ذلك عملت على تغيير مسار حركة التنمية المستقلة وجوهرها وأعطتها صبغة غير تحريرية بأن ألحقت اقتصاديات بلدانها بالاحتكارات الغربية من جديد، وأطلقت حرية النشاط للقطاع الخاص، الذي ينشط عادة في مثل هذه الأقطار النامية في قطاع الخدمات والمنتجات الاستهلاكية البسيطة غير ذات الأهمية الاقتصادية وفي المقابل شنت هذه القوى الاجتماعية حربا دعائية وايديولوجية على الاختيار التنوي غير الرأسمالي وعلى سيطرة القطاع العام على الاقتصاد الوطني وعلى اتباع تخطيط تنوي مركزي تشرف عليه الدولة التي تعمل على تعبئة الطاقات الوطنية البشرية والمادية

للتعجيل بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وعملت هذه القوى الاجتماعية التابعة للاحتكارات الغربية على نشر أفكار جديدة وايديولوجية جديدة تتفق مع التحولات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الجديدة وتتكامل مع الأفكار والايديولوجيات المنتشرة في البلدان الرأسمالية الغربية في عدائها لأسلوب التنمية غير الرأسمالي، ولتدخل الدولة في التنمية وللمحد من نشاط القطاع الخاص ومراقبته. وحسب ايديولوجية هذه القوى البرجوازية المهينة سياسيا واجتماعيا، فإن سيطرة الدولة على الاقتصاد الوطني وتقييد نشاط القطاع الخاص ومراقبته يعدان دكتاتورية وظلما اجتماعيا، وأن حماية الاقتصاد الوطني من الاحتكارات الأجنبية واتباع سياسة تنمية مستقلة يعدان تحجرا وانغلاقا اقتصاديين، وأن توفير الخدمات الاجتماعية الأساسية للمواطنين (من مسكن أو علاج مجاني أو تعليم مجاني أو نقل...) يعد عملا غير اقتصادي وتبذيرا للاقتصاد الوطني في هذه الأقطار.

وتعتبر هذه الطبقة الاجتماعية بأن النشاط الفكري والسياسي الذي لا يتفق مع سياسة النظام الحاكم ويخدمها، جريمة في حق الوطن والنظام السياسي الحاكم. وتطلق الأفكار والرؤى المناهضة لأطروحاتها السياسية والعقائدية بالايديولوجية المستوردة والدخيلة، لذلك ينبغي مضايقة حاملي هذه الأفكار ومحاربتهم في جميع المجالات والمواقع (السياسية والاقتصادية والوظيفية والتعليمية والاعلامية والثقافية)، واتهامهم بالعمالة واتباع عقائد وايديولوجيات أجنبية متطرفة وتخريبية مضادة للوطن و«للسلم الاجتماعي» وللدين وللديمقراطية كما يفهمها النظام الحاكم⁽⁴¹⁾.

وهذا ما جعل الناس يخشون من اعلانهم لأفكارهم واتجاهاتهم السياسية وانتاءاتهم الايديولوجية في تلك البلدان، وذلك حتى لا يتعرضون الى متابعات بوليسية أو عقوبات قضائية أو مضايقات مهنية ووظيفية.

ففي دراسة ميدانية (لعاطف أحمد فؤاد) عن الصفوة المصرية المثقفة وقضاياها وانتاءاتها الايديولوجية، والتي شملت عينة من أساتذة الجامعات المصرية في مختلف التخصصات العلمية والأدبية والاجتماعية، اتضح أن (25,7%) من المبحوثين يؤكدون أنه لا انتاء ايديولوجي أو فكري لديهم، وأن (14,2%) منهم لم يجيبوا عن السؤال الخاص بهذا الموضوع⁽⁴²⁾.

ويتضح من هذا أن ما يقرب من (40%) من الصفوة المثقفة المصرية ليس لديهم

وعى بذواتهم الايديولوجية، مما يعني أنه ليس لديهم وعى اجتماعي وسياسي بواقعهم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي. وهذا نتيجة لما تعرضت له هذه الفئة المثقفة من مضايقات في الماضي ولا زالت تتعرض في الحاضر، أن هي تجرأت وتبنت أفكارا وعقائد لا ترضى الطبقة المهينة، أو نشطت نشاطا فكريا وسياسيا لا يتفق وخطها السياسي ونموذجها الفكري والايديولوجي. وهذا ما دفع البعض من المنتمين لهذه الفئة المثقفة الى اخفاء انتاءاتهم الايديولوجية والسياسية، إذ لا يتصور أبدا انعدام وجود انتاء ايديولوجي أو فكري أو سياسي لدى هؤلاء.

ولقد دفعت نتائج هذه الدراسة الميدانية الباحث (عاطف أحمد فؤاد) الى طرح عدد من الأسئلة الاستفسارية عن خلفية هذه النتائج الميدانية المتعلقة بهذا الموضوع. فطرح سؤالا عما اذا كان الانتاء - أو الوعي به - ضرورة؟ وأجاب بأن الانتاء أو الوعي به هو جزء من الوعي بالذات، أو هو مظهر أو عنصر أساسي من مظاهر أو عناصر صورة المرء عن ذاته، ولكن ماذا عن الوعي بالذات الايديولوجية؟ فهي «في الواقع جزء من صورة المرء عن ذاته»، فإذا لم يع المرء هويته الايديولوجية أي هويته الفكرية أو العقائدية، يكون قد افتقد عنصرا هاما من العناصر المكونة لذاته، وبالتالي يكون تصويره عن هذه الذات تصويرا مبتورا مشوها، غير متكامل الا أن هناك سؤالا حائرا وهو: أهنأك بالفعل انسان بلا إنتاء ايديولوجي؟ فإذا كانت الاجابة (بنعم) فذلك يعني أن ثمة انسانا - رغم وجوده المادي - يحيا بلا فكر، إذ أن المعاني المختلفة لمفهوم الايديولوجية تكشف في جملتها عن الطابع الفكري للاصطلاح وهو الأمر الذي أكدده المعنيون بأمر الايديولوجية، فكيف اذن - والايديولوجيا تعني طاقم الفكر - أن تتصور أفرادا بلا ايديولوجيا أي بلا فكر؟ ولماذا تنفي فئة أن لها انتاء ايديولوجيا فكريا محددًا؟ أليست على وعي به رغم وجوده؟

ويرى صاحب الدراسة في النهاية بأن قضية الاحساس بالانتاء هي جزء من قضية أكبر وهي قضية الوعي، سواء أكان وعيا ذاتيا، أي وعي بذات الانسان أو وعيا مجتمعا بمتغيراته السياسية والاقتصادية والثقافية المختلفة⁽⁴³⁾.

وما تجدر الاشارة اليه هنا هو أن وعي الفرد بذاته أو بانتمائه الايديولوجي لا يعني بالضرورة أنه اكتسب وعيه الاجتماعي أو الطبقي، اذ قد يكون له انتاء ايديولوجي معين لكنه لا يعي بأن هذا الانتاء الايديولوجي مع مصالحه الاجتماعية

ومصالح الطبقة الاجتماعية التي ينتهي إليها، فقد يتأثر بأفكار وبايديولوجية معينة تزيّف وعيه الاجتماعي أو الطبقي وذلك اذا كان هذا الوعي لا يستند الى الواقع الاجتماعي والمادي وإلى الوجود الاجتماعي الشامل، بمعنى أنه يعكس الواقع الاجتماعي والمادي جزئيا، أولا يعكسه اطلاقا، أو يعكسه بطريقة مشوهة وغير واقعية.

ويؤكد «كارل ماركس» أن هناك ظروفًا أساسية تساعد على تشكيل الوعي الطبقي، أو حتى درجة عالية من الوعي بالمصالح والأهداف. فقد توجد طبقة مع بعضها البعض، ومع ذلك لا تسعى لتحقيق مصالح مشتركة، فرغم أن أعضاءها قد يعيشون في ظل ظروف متشابهة الا أنهم قد لا يدخلون في علاقات متبادلة ومتنوعة كل مع الآخر، بالإضافة الى ذلك فإن الوعي قد يتأخر اذا ظلت الوحدات التي تنتمي إليها هذه المصالح منعزلة كل عن الأخرى أو اذا لم يسودها تقسيم للعمل أو تختلف عنها وسائل الاتصال التي تيسر وحدتها واكتسابها لوعيتها⁽⁴⁴⁾.

ان الوعي الطبقي لا يتضمن ادراك الهوية الطبقيّة للجماعة التي ينتهي إليها الفرد فحسب، بل وأيضا الوعي بموقع الطبقة التي ينتهي إليها في الترتيب الطبقي القائم في المجتمع، وادراك وجود تباين بين الاهتمامات الطبقيّة وربما التضامن الطبقي أيضا⁽⁴⁵⁾.

ويبرز «ولهلم رايش» أهمية الوعي الطبقي، بقوله لكي تنجح أية سياسة تتطلع الى التغيير ينبغي الا تكتفي بمعرفة الأثر الموضوعي لتطور القوي الانتاجية على الحركات والتغيرات الاجتماعية، بل أن تتبين أيضا، وتعطي الأهمية الكاملة، لما يدور «في الرؤوس»، أي في البنية العقلية للناس الذين يتأثرون وينفعلون بالعمليات الموضوعية التي ينجزونها، تبعا لاختلاف بلدانهم وأحيائهم وزمرهم المهنية وأعمارهم وجنسهم. ويرى «ولهلم رايش» بأن الوعي الطبقي «يلعب دورا هاديا وقياديا في الحركة والسياسة الاشتراكيين» ذلك أن اكتساب الوعي الطبقي من قبل فئات السكان الراوحة تحت نير الاضطهاد هو الشرط الأول لكل تحويل ثوري للنظام الاجتماعي القائم، والمقصود بذلك أن البشر لابد أن يتغيروا تحت تأثير العمليات الاقتصادية والاجتماعية حتى يكون في استطاعتهم انجاز عمل كبير كالثورة⁽⁴⁶⁾.

الوعي الاجتماعي وأنواع الوعي الأخرى

ينبغي هنا أن نميز بين الوعي الاجتماعي والوعي الطبقي والوعي السياسي

والوعي بالذات القومية والثقافة الروحية وذلك كالتالي:

1 - فالوعي الاجتماعي وعي عام يشتمل على احاطة أفراد المجتمع بمجمل القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحتى العلمية التي لها دخل في حياتهم، ومن ثم فإنه للوعي الاجتماعي أنواع من الوعي: الوعي السياسي، الوعي الأخلاقي، الوعي الديني، الوعي الصحي... والوعي بالطبيعة.

2 - أما الوعي الطبقي فهو ادراك أفراد جماعة ما لموقعهم الطبقي ولموقع جماعتهم الطبقي. بين مختلف الجماعات الاجتماعية الأخرى، وادراكهم لمصالحهم الطبقيّة ومصالح جماعتهم الطبقيّة، ولسبل تحقيق وضمان تلك المصالح⁽⁴⁷⁾.

3 - وعندما ينظم أفراد المجتمع أنفسهم في أحزاب أو تنظيمات معينة ويمارسون نشاطا سياسيا لتحقيق أهداف جماعتهم ضمن تلك التنظيمات، فهذا العمل يتطلب وعيا سياسيا.

ويعتبر «بيير فوغيرولاس» Pierre F. أن الوعي السياسي برز كمعرفة من طرف الفرد للخطر المهدد للبناء الاجتماعي الذي هو عضو فيه، وهذا الخطر قد يكون داخليا أو خارجيا، إلا أنه في الغالب يكون داخليا وخارجيا في أن واحد. ويضيف بيير فوغيرولاس بأننا نستطيع تصوير حالتين متطرفتين للصراع السياسي:

أ - ففي الحالة الأولى يكون انقسام البناء الاجتماعي شديدا مما يؤدي الى تهديم وحدته وانتشار الحرب الأهلية.

ب - أما في الحالة الثانية فإن وحدة البناء الاجتماعي التي تكون في صراع ضد مجتمع معاد شديدة لأن التوترات الداخلية تكون منعقدة والذي يبقى هو الصراع الخارجي فقط.

وفي الغالب لا تلقي التوترات والصراعات الداخلية نهائيا الوعي لمجمل الأفراد المتعلق ببعض المصالح الأولية للبناء الاجتماعي، ولانتشار الصراع الخارجي، ولا يخفي المعارضة الداخلية، وذلك لأن الوعي السياسي يكون أحيانا تحت أشكال ودرجات متنوعة وعي حزبي مشارك في الصراعات الداخلية، ووعي بالوحدة الاجمالية للبناء الاجتماعي في مواجهة البنيات الاجتماعية الأخرى، وهو ما يعرف في المجتمعات المعاصرة بالوعي الوطني. فالوعي الوطني والوعي الحزبي وجهان للوعي السياسي، وهما يتعارضان أحيانا ويتألفان أحيانا أخرى، لكن لا ينفصل أحدهما عن الآخر باستمرار⁽⁴⁸⁾.

4 - وإضافة الى هذا يوجد فرق بين الوعي الاجتماعي والوعي بالذات القومية، الذي يقصد به الوعي التاريخي والاجتماعي للأمة في حركتها الارتقائية على مدى التاريخي. أنه ذروة التلاحم بين الذات وبين الواقع كعملية تاريخية وهو تعبير عن ادراك أبناء المجتمع لخصائصهم الشخصية القومية المتمايزة، ولعناصر ثقافية ممثلة في السلوك والقيم والعواطف والأمال والطموحات والمصالح المشتركة، وكل ما يشكل قوة رابطة وعامل تضامن ووحدة على الصعيد القومي، ويصبح عليها النشاط العملي الاجتماعي طابع الوحدة والتجنس، ويتحقق للمجتمع من خلاله رؤية مشتركة أساسها تاريخه وثقافته وجهده في تغيير الطبيعة وبناء حضارته ونظراته الى المستقبل والحياة العامة، ثم ادراك المرء لنفسه كعنصر متميز عن الطبيعة التي يغيرها، وكوحدة في مجتمع متكامل «يشكل نسقا تاريخيا له لغته ورموزه وطقوسه وعقائده وسلوكه وأسلوبه في التعامل مع النفس والآخر - مجتمعا ووطنا»⁽⁴⁹⁾.

ويعد الوعي القومي - في نظر فريدريك هرتز - نوعا معينا من وعي الجماعة أو تضامناتها، ويؤلف رابطة بين أعضاء الجماعة فيما يتصل بالسعي لتحقيق أهداف معينة، وهو ذو تركيب معقد جدا ويضم اتجاهات عديدة، من حالة عقلية لا شعورية كامنة الى ايدولوجية واضحة محددة، وهو يختلف اختلافا كبيرا بين الأمم وبين الأفراد، واعتبار أن الأمم تملكه لا يعني أن جميع الافراد المنتهين الى أمة لديهم هذا الوعي بدرجة كبيرة أو حتى لديهم أصلا⁽⁵⁰⁾.

5 - أما فيما يتعلق بعلاقة الوعي الاجتماعي بالثقافة الروحية فيبرزها بوضوح «أوليدوف»، بقوله أن الوعي الاجتماعي يملك علاقة مباشرة بالثقافة الروحية (التي هي تدل على مدى السيطرة الفكرية على العالم، بينما تدل الثقافة المادية على مستوى السيطرة الفعلية للبشر على الطبيعة)⁽⁵¹⁾.

يتضح من هذه العلاقة أن الوعي الاجتماعي ليس سوى وجه للثقافة الروحية، ولا يتطابق المفهوم لأن الثقافة الروحية تتضمن انتاج الأفكار والمفاهيم والنظريات... الخ وتوزيعها، واستهلاكها، بل أيضا لأن «مفهوم الثقافة الروحية يشمل مجمل القيم الفكرية» التي وجدت في سياق تاريخ الانسان بأكمله، وبعبس ذلك يحتوي مفهوم الوعي الاجتماعي قبل كل شيء على جملة الأفكار والنظريات والتصورات وسواها من التكوينات الفكرية الخاصة بعصر ما ووعي العصور الماضية

ليس متضمنا في الوعي «الاجتماعي الاشتراكي» مثلا، ولكنه يوجد في شكل «هياكل للثقافة الروحية كالأعمال الأدبية والفنية وفي العادات والتقاليد... الخ، ان ما هو تقدمي من هذا الارث الفكري يوضع في خدمة الشعب»⁽⁵²⁾.

وتتجلى جدلية العلاقة بين الثقافة الروحية والوعي الاجتماعي في أن وعي كل عصر يستند الى المكتسبات الثقافية للماضي ويأخذ كثيرا منها، ومع تغير مجتمع ما، فإن وعيه لا يختفي دون ترك أي أثر، بل هو ينتقل من جيل لآخر في شكل هياكل ثقافية مشيئة، أفضلها القيم الخالدة للثقافة العالمية⁽⁵³⁾.

وهناك من يميز بين مفهومين للوعي، المفهوم الأول الذي يحرص الوعي في التبنى السلي لفكرة أو مجموعة أفكار يلقتها حاكم فرد أو حزب للمواطنين بالاستخدام المكثف لكل وسائل الثقافة والتعليم والاعلام مع حضر كامل على كل مصدر لمعلومات مختلفة ورأي مخالف، فالتلقين على هذا النحو يظل عادة في مستوى الوعظ والارشاد الذي لا تتأثر به الاقلية من المواطنين، وهو اذا كان ذا فاعلية ونجاح يغدو نوعا من غسيل المخ يلغي ارادة الفرد ويعمي بصيرته، ويصادر بالتالي حريته في الاختيار.

أما المفهوم الثاني للوعي فهو ادراك المواطن في حرية بحقيقة قضايا المجتمع الذي يعيش فيه واشتراكه في البحث عن حلول لها، وابداء الرأي فيما يقترح من قرارات بشأنها، ثم الاسهام على مستويات مختلفة في صنع القرار النهائي ومتابعة تنفيذه. وهذا النوع من الوعي هو وعي المواطن الذي تحرر من القهر السياسي والاقتصادي والاجتماعي، والذي يمارس بالفعل دوره في صنع المستقبل في شعور كامل بالمسؤولية⁽⁵⁴⁾.

وعلى كل فإننا نميز بصفة أساسية بين مستويين للوعي: أحدهما فردي خاص، والثاني عام، اجتماعي، توصف العلاقة بينهما بأنها علاقة جدلية، ذلك لأن الوعي الفردي وإن كان يعبر عن العالم الخاص للفرد فإنه يؤثر في الوعي الاجتماعي، إلا أن هذا الأخير ليس مجرد جمع بسيط لمجموع وعي الأفراد، لأنه يكسب وعي الأفراد خصائص المرحلة التاريخية للبناء الاجتماعي.

وتجدر الإشارة هنا الى أن الوعي يحتوي عامة على بعدين: أحدهما ايدولوجي، ويربط بين قضايا المجتمع ومشكلاته وتفسيرها وطرح أساليب تناولها وحسمها، واتجاهات هذه الأساليب وذلك الحسم، وأما البعد الثاني فيرتبط بالتجربة اليومية

والتاريخية للفرد وللطبقة والمجتمع، من خلال ما تعكسه القيم والتقاليد ونمط التنشئة الاجتماعية والسياسية، وأسلوب الضبط الاجتماعي والاعلام⁽⁵⁵⁾.

ونميز في الأخير، بين وعي اجتماعي عام يشير الى مجمل القضايا والأمور التي لا تخص فئة اجتماعية معينة، ولكن تخص المجتمع ككل، والثاني وعي اجتماعي يخص فئة اجتماعية معينة ويرتبط بمصالحها وتصوراتها وطموحاتها المستقبلية.

الهوامش

Cavafis cortazar, Encyclopedia universalis, volume 4 (dixième publication, France, (1) janvier 1956), p.929.

(2) د. جبور عبد النور ود. سهيل ادريس، قاموس: فرنسي - عربي (الطبعة الثالثة، بيروت: دار العلم للملايين، 1973)، ص 238.

(3) د. حامد ربيع، «العلاقة الاتصالية بين المفهوم القومي والتطور الاجتماعي»، الفصل السابع من كتاب اللغة العربية والوعي القومي (الطبعة الاولى، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 1984)، ص 252.

(4) مرجع السابق، ص 252.

(5) ميشيل دينكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة احسان الحسن (بغداد: دار الرشيد للنشر، 1980) ص 63.

(6) علي عباس مراد، الطبقات والصراع الطبقي في الايديولوجية العربية الثورية (بغداد: دائرة الشؤون الثقافية والنشر، 1984)، ص 125.

(7) د. أحمد الخشاب ود. أحمد النكلاوي، المدخل السيسولوجي للاعلام (القاهرة: دار الكتب الجامعية 1974)، ص 80.

(8) علي عباس مراد، مرجع سبق ذكره، ص 124.

(9) أ.ك. أوليدوف، الوعي الاجتماعي، ترجمة ميشيل كيلو (الطبعة الاولى: بيروت دار ابن خلدون، 1978) ص 7، 8.

(10) د. عبد الباسط عبد المعطي، الوعي التنوي العربي: ممارسة بحثية (القاهرة: دار الموقف العربي، 1983)، ص 12.

(11) أ.ك. أوليدوف، مرجع سبق ذكره، ص 14، 15.

(12) المرجع السابق، ص 15.

(13) كارل ماركس، نقد الاقتصاد السياسي، ترجمة راشد الراوي (الطبعة الاولى، القاهرة: دار النهضة العربية، 1969) ص 6، 7.

(14) عبد الله بوجلالة، «الاعلام والوعي الاجتماعي لدى الشباب الجزائري: دراسة ميدانية على عينة من شباب المدارس الثانوية والجامعات»، رسالة دكتوراه، كلية الاعلام - جامعة القاهرة، يناير 1989، ص 54.

(15) أوستوفسكي ستانيسلو، الوعي الاجتماعي بالبناء الطبقي، الكتاب السنوي لعلم الاجتماع (القاهرة: دار المعارف، 1981) ص 394.

(16) د. عبد الباسط عبد المعطي، الصراع الطبقي في القرية المصرية (القاهرة: دار الثقافة الجمعية، 1977)، ص 135.

(17) أ.ك. أوليدوف، مرجع سبق ذكره، ص 31.

(18) د. عبد الباسط عبد المعطي، الاعلام وتزييف الوعي (القاهرة: دار الثقافة الجديدة، 1979)، ص 11، 12.

- (44) علي ليلة، النظريات الاجتماعية المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص 371.
- (45) استوفسكي ستانيسلو، الوعي الاجتماعي بالبناء الطبقي، مرجع سبق ذكره، ص 331.
- (46) ويلهم-رايش، ما الوعي الطبقي؟ نحو علم نفس سياسي للجماهير، ترجمة جورج طرايشي (الطبعة الثانية، دار الطليعة، 1979)، ص 16-16.
- (47) عبد الله بوجلل، الاعلام والوعي الاجتماعي لدى الشباب الجزائري، مرجع سبق ذكره، ص 68.
- (48) Pierre Fougeyrollas, la conscience politique dans la France contemporaine (Paris 1963), p.120-121. VIIème: édition de Noël.
- (49) شوقي جلال، «الوعي بالذات القومية خطوة على طريق الانتاء والتغيير»، مجلة المنار (العدد الأول يناير، 1985)، ص 142، 143.
- (50) فريدريك هرتز، القومية في التاريخ والسياسة، ترجمة عبد الكريم أحمد (القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، فرع مصر، 1968)، ص 22.
- (51) أ. ك. أليدوف، مرجع سبق ذكره، ص 30.
- (52) المرجع السابق، ص 31.
- (53) المرجع السابق، ص 31.
- (54) د. السيد عليوة، استراتيجية الاعلام العربي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978)، ص 25، 26.
- (55) د. عبد الباسط عبد المعطي، الاعلام وتزييف الوعي، مرجع سبق ذكره، ص 15، 16.

- (19) كريستوفر بطر، «من كتاب التفسير والتفكيك والايديولوجية»، ترجمة وتقديم نهاد صليحة، مجلة فصول، المجلد الخامس (العدد الثالث، ابريل، مايو، يونيو 1985)، ص 89.
- (20) د. عبد الباسط عبد المعطي، الاعلام وتزييف الوعي، مرجع سبق ذكره، ص 16.
- (21) د. عبد الباسط عبد المعطي، الوعي التنوي العربي، مرجع سبق ذكره، ص 18.
- (22) المرجع السابق، ص 18، 19.
- (23) جاك ميلو وآخرون، لينين: الفلسفة والثقافة، ترجمة جوزيف ساحة (بيروت: دار الحقيقة بدون تاريخ)، ص: 32-35.
- (24) د. علي ليلة، النظريات الاجتماعية المعاصرة: دراسة لعلاقة الانسان بالمجتمع (الطبعة الثالثة، القاهرة: دار المعارف، 1983)، ص 371.
- (25) كارل ماركس، نقد الاقتصاد السياسي، ترجمة راشد الراوي (الطبعة الأولى، القاهرة: دار النهضة العربية، 1969)، ص 7.
- (26) Karl Marx, Friedrich Engel, l'Idéologie Allemande (Paris: éditions sociales, 1958), p.51.
- (27) ف. كونستانتينوف، وف. كيل، علم الاجتماع الماركسي ومكانه من نظام المعرفة الاجتماعية، ترجمة سعد صموئيل (الطبعة الثانية: بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1978)، ص 10.
- (28) Bela Köpeczi, trente années de la culture Hongroise: une révolution culturelle (Hongres: collection Corvina, 1982), p.298.
- (29) د. عبد الباسط عبد المعطي، الوعي التنوي العربي، مرجع سبق ذكره، ص 25.
- (30) د. نبيل محمد توفيق السالموطي، الايديولوجيا وأزمة علم الاجتماع المعاصر (الاسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975)، ص 212.
- (31) ألكسندر كوفالوف علم النفس الاجتماعي، ترجمة نزار عيون السود (دمشق: دار الجماهير العربية، 1976)، ص 56، 57.
- (32) المرجع السابق، ص 57.
- (33) يوري كرازين، علم الثورة في النظرية الماركسية، ترجمة سمير كرم (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1975)، ص 161.
- (34) المرجع السابق، ص 161.
- (35) مجموعة مقالات سوفياتية، الاستعمار الجديد، ترجمة أحمد فؤاد بلع (القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر 1968)، ص 181.
- (36) السيديس، «أزمة الرأي العام ومشكلات الوعي الاجتماعي زائفا ومقيدا ومحاصرا»، بحث قدم في ندوة قياس الرأي العام في مصر، القاهرة 12-10 مارس 1981، المركز القومي للبحوث الاجتماعية الجنائية «جهاز قياس الرأي العام»، ص 93.
- (37) المرجع السابق، ص 94.
- (38) المرجع السابق، ص 96.
- (39) هريوت ماركوز، الانسان ذو البعد الواحد، ترجمة جورج طرايشي (الطبعة الثالثة، بيروت منشورات دار الآداب، 1973)، ص 47.
- (40) المرجع السابق، ص 47، 48.
- (41) عبد الله بوجلل، مرجع سبق ذكره، ص 64.
- (42) د. عاطف أحمد فؤاد، الصفوة المصرية: قضاياها وانتاءاتها (الطبعة الأولى، القاهرة: دار المعارف، 1985)، ص 190.
- (43) المرجع السابق، ص 323-325.